

# دعاء موجه إلى نهر الفرات.....

محمد العبيدي



نهر الفرات الذي كان يقدسه السومريون والبابليون ونقش  
هذا الدعاء على رقم من الرقم الطينية المفخورة :

أيها النهر خالق كل شيء حينما حفرتك الالهة العظام.  
أقاموا أشياء طيبة على شطآنك وفي طيات غمرك.  
بنى (( أيا )) ملك الغمر مقامه وانعموا عليه بفيض من المياه لا نظير له.  
فيا أيها النهر العظيم أيها النهر المجيد  
يا نهر المعابد المقدسة مياهك تفرج الغمة فتقبلني برأفة  
وخذ ما في بدني وارم به على شطآنك وغرقه عند ضفافك وغطه في  
أعماقك....

قدماء العراقيين من سومريين والبابليين يعتبرون الماء مصدر  
الحياة ومنبع الخير والبركة ، لذلك كان من أهم الالهة التي  
يعبدونها ويتباركون بوجوده ويقدمون له القرابين والندور،  
دون أن يزعل عليهم بالمياه الوفير (( الفيضان )) هذا التقرب  
إلى تشكيل النهر هو ليس تصنيف عشوائي ، لا في الجريان  
ولا حتى في الامتداد وإنما تكوينه محكوم بوجود الالهة ((  
انكي)) الذي يسيطر على الينابيع الموجودة في شماله وهو  
الذي يعطي أوامره بالماء العذب، إن شاء ليطلقه بما يجعله  
هادئا وليس متروجا وبهذا بسببه تنتعش الأرض وتخضر  
المزروعات ويعيش الإنسان والحيوان وان شاء جعله حبيسا  
علينا. وعشوائيا مخالفا لما نريده من الالهة هل هو قلة في  
الندور؟ ام عدم استغلال المياه بصورة منطقية لاعشوائية؟



لم يكن الالهه(( انكي )) طيلة فترة وجوده عشوائياً بل مكثف بذاته وهو يسوغ ما يأمر به ومنتظم وأنا نشعر بقبضة يده وهو جالس على العرش بنظام مهياً عميق الجذور للعلاقات التي تتحكم بها القوانين الإلهية التي تقرر أن يكون كل إله له تصرف فردي إلى جانب اله السماء واله الهواء.

سلطانه قوي بكل المقاييس ، يستطيع ان يوقف الفيضان والموجات الخارجة عن إرادته عند حدها كان اله الماء العذب التي تقع منابعه عند مكان عرشه وقره في الغور التي تنبع منه المياه من جبال عالية بعيدة ، لتصل إلى اريدو إلى الاهوار إلى معبد يعود له (( أي سأكل)) وكان أقدم مكان في أوائل العصور السومرية هذه النظم لم تأتي دون إحكام وقوانين لأننا ندرك النهر بصفته التزامنية ندرکه الآن ضمن تفكير مميز لاندرکه مثلما وجدناه عند الإنسان الرافد يني الأول ، المبدأ الذي يحرك النهر وجريانه وموجاته هو يعتبر مفهوم الهي لايتحمل التعقيد والاختلاف ، في المفهوم الوظيفي الذي يؤديه النهر وإنما هناك تضاد يحدث مع الالهة الأخرى كوجود المطر في السماء والرياح والغيوم والبرق ووجود اله الهواء هو الآخر يصب غضبه على النهر ، الدعاء موجود في الواقع وفي لغات سومر لايعطي تمييز ثلاثي بين الالهة إنها عملية فردية غير مسيطر عليها بصورتها الجماعية ولكن هناك تداخلات ، للطبيعة تجعل من الالهة القدرة على خلق متضادات مزدوجة والهدف منها هو نعت سكان سومر عن كل التجاوزات التي تحصل ليس على الالهة (( انكي)) وإنما على طريقة الاستغلال الأمثل للنهر كون الالهة حصل ويحصل من الأجيال على كل لاوصاف التعظيم والتقديس التي عبروا عنها برموز مختلفة وصوروها على أختامهم وألواحهم الحجرية والتماثيل وواجهات المعابد هذا النموذج

الترتبي من الثقافة الرافدينية للإنسان الأول هي عملية روابط لشؤون الحياة المختلفة ومن خلال ذلك إنها خزين لكل لغة تكلم مصحوبة بثقافة لم تكن متخالفة او مترادفة بل هي مطابقة لمجموعة الحقائق المدروسة، وفق وظيفتها القاعدية التي يتمتع بها النهر.



الأنهر والمنابع وجريانها والآبار كلها امتلكت علامات التقديس في عقيدة، السومريين والبابليين والعراقيين المعاصرين ، أولا لأنها مثلت الالهة (( انكي )) اله المياة والخير ويقدمون له القرابين والنذور وثانيا شكل الإنسان الأول عناصر معينة، للدخول في عالم وزرع بموجبه كل خيرات النهر وهذا أيضا يطلب من حالات التقديس لان الماء عنده في كفيه، والينابيع جنبه وحتى عملية التجوال في القارب يتمتع بجريان النهر، كل هذه الفعاليات للالهه دونت على أختام اسطوانية ووضعت عند الناس السومريين واتخذوه شعارا لهم هذه وظيفة النهر كونها عنصر ثابت مستقر ومحكوم بوجود الالهة (( انكي )) الفت مكوناتها الأساسية للإنسان الأول ولم تكن قصص النهر نوع من القصص المرتبطة بالخيال وابسط دليل على واقعيتها الدعاء معكم إلى نهر الفرات الموجود في أعلى المقالة.